مريم فرح *

الشعبويّة و «ما بعد الحقيقة»: قراءة في ممارسات بنيامين نتنياهو أثناء جائحة كورونا

مقدمة

«تبدو الحقيقة متى نُظر إليها من الزاوية السياسية، ذات سمة استبدادية. ومن ثمّ فهي مكروهة من قبل الطغاة الذين يخشون، محقّين، منافسة قويّة قسريّة لا يستطيعون احتكارها». \

حنة، آرندت

تسببت جائدة كورونا منذ ظهورها في أواخر العام ٢٠٢٠ بأزمة عالمية، العام ٢٠١٠ بأزمة عالمية، انطلاقًا من الصين في البداية، ومن ثم لبقية الدول والمجتمعات. تزامن وصول الجائدة إلى إسرائيل مع موعد انتخابات الكنيست الثالثة والثلاثين في آذار برائيل مع جلسات محاكمة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، بعد أن أعلن المدّعي العامّ

الاسرائياي، في وقت سابق، عن قراره بتوجيه لائحة الهام لنتنياهو تتضمّن ثلاث تهم بحقّ رئيس وزراء في منصبه، وتشمل ثلاثة ملفّات؛ فساد؛ الرشوة والاحتيال وخيانة الأمانة، وذلك في القضايا المعروفة إسرائيليًا ١٠٠٠ و ٢٠٠٠.

استخدم العديد من القادة الأكاذيب للعمل والاستمرار في مناصبهم، وتجادل حنّة أرندت (Hannah المحصل (Arendt في مقالها «الحقيقة والسياسة»؛ بأن وعي التاريخ الحديث قد خلق جوًا وديًا يسمح بتضليل عامة الناس، وأن استخدام الأكاذيب لا يزال موجودًا حتى اليوم، لكن روحه السياسية قد تغيرت، خاصة مع ظهور التكنولوجيا، ومع ذلك فالكذب ما يزال سمة مهمّة في السياسة، على إثر التشتيت المتواصل لخطّ الفاصل بينَ الرأي والحقيقة.

نظّرت حنة أرندت إلى أن أحد مميّزات السياسة الحديثة هي الاستخدام الواسع للأكانيب أكثر من أي

^{*} صحافيـــة فلسـ طينية، وطالبــة ماجســتير في العلـــوم السياســـية والإعـــلام الســـياسي.

شكّلت جائحة الكورونا والأزمة الصحيّة رأس مال سياسيّ بيدِ نتنياهو، ليس فقط، بلبالنسبةِ للعديد من القادة السياسيين الشعبويين في العالم مثل دونالد ترامب في الولايات المتحدة، ناريندرا مودي في الهند، جايير بولسونارو في البرازيل، رجب طيّب أردوغان في تركيا، بوتين في روسيا؛ الأمر الذي ساهم في تعزيز الخطاب الشعبويّ وانتشاره.

وقت مضى. من المكن جعل مضمون هذه المقولة الأساس النظري لتحليل الخطاب والواقع والحقيقة التي أنتجها رئيس حكومة إسرائيل بنيامين نتنياهو خلال انتشار جائمة كورونا. اعتبرت أرندت أن الكذب وصف مشتت للفعل، وتزوير مُتعمّد وخداع منهجي له خصائص تجعله مناسبًا بشكل خاص لعصر السياسة الحديث، خصوصًا مع انتشار ظاهرة «الأخبار المزيّفة» (Fake news)، التي تصاعدت مع ظاهرة الشعبويّة عند قيادات وأحزاب ضمن النظامين الديمقراطيّ الليبراليّ

ويشير لي ماكنتاير إلى أن السؤال الفلسفي حول الحقيقة والكذب يعود إلى حقبة الفلسفة اليونانية؛ سقراط وأفلاطون وأرسطو، حيثُ أن التفكير في مسائل الحقيقة والكذب في السياسة، اعتبر إشكاليّة وتحديًا حقيقيًّا، إثر احتمال احتكار السلطة لد «الواقع والحقائق».

في المقابل فإن مصطلحات «ما بعد الحقيقة» و «الأخبار المزيّفة» هي مفاهيم معاصرة تميّز الأحداث السياسية من العقد الثاني في القرن العشرين. على سبيل المثال؛ الانتخابات الأميركيّة في العام ٢٠١٦، وخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي. ووفقًا لماكنتاير، فإن السؤال الرئيس الذي يجب تناوله وبحثه في الوقت الراهن ليس «نظرية في الحقيقة» وإنما الأساس المنطقي والطرق المتعددة التي تمكّن السياسيين من التشكيك في الحقائق، وقد لاحظ ماكنتاير أيضًا أن التشكيك في الحقائق، وقد لاحظ ماكنتاير أيضًا أن الكذب بالاعتماد على معلومات خاطئة؛ الكذب على الكذب على أساس الجها، والكذب بنيّة الخداء."

في هــذا الصـدد، شــكّلت جائحــة الكورونــا والأزمــة الصحيّــة رأس مــال ســياسيّ بيــدِ نتنياهــو، ليـس فقـط، بـل بالنســنة للعديــد مـن القــادة السياســيين الشـعبويين في العالــم مثـل دونالــد ترامــب في الولايــات المتحــدة، نارينــدرا مــودي في الهنــد، جايــير بولســونارو في البرازيــل، رجــب طيّـب أردوغــان في تركيــا، بوتــين في روســـيا؛ الأمــر الــذي ســاهم في تعزيــز الخطــاب الشــعبويّ وانتشــاره. ســأركّز هنــا عــلى الحالـة الإسرائيليّــة؛ أي عــلى سياســات نتنياهــو وممارســتاته تحديــدًا، من خــلال مراجعـة الأداء والاســتجابة السياســية والإداريــة والصحيــة لوبــاء كورونــا أثنــاء عملــه كرئيــس للحكومــة، وســـأحاول تفكيــك «الواقــع» الـــذي أنتـــه نتنياهـــو وتحليلــه.

التأطير النظريّ

أحد ملامح الأزمة التي تمر فيها الليبرالية الديمقراطية، على إشر صعود تيارات يمينية عالميا تشكّك أو تسعى لنزع شرعية أسس النظام الديمقراطي الليبراليّ، هي الخطاب الشعبويّ وسياسة «ما بعد الحقيقة»، وأقصد التي تطوّرت في الفترة الحديثة. سأتطرّق إلى أهم المناقشات في هذا السياق، التي قامت حلّلت طرق الشعبويّة وآلياتها، وفقًا لتيارات نظريّة ترتكز على فهم الظاهرة؛ التيّار الجدليّ (الديالكتيكي) ترتكز على فهم الظاهرة؛ التيّار الجدليّ (الديالكتيكي) موف (Ernesto Laclau)، وشانتال موف (Chantal Mouffe) . أمّا عن التيار الليبرالي فسأناقش المنظر الألماني يان فيرنر مولر (Müller فسأناقش المنظرة مركزية مرتبطة بالنظام الديمقراطي الغربي.

يجادل يان فيرنر مولر، بأن ظهور مصطلح «الشعبوية» كأداة تحليليّة، اقترن مع المحاولات والمناقشات الأكاديميّة والثقافيّة لفهم التحوّلات في المستعمرات وعمليّة «نزع الاستعمار» وما سميّ لاحقًا حقل دراسيّ «ما بعد الكولونياليّة». لاحقًا، في مناقشات أكاديميّة لتطوّر «الشعبوية» كطريقة وأداة وآلية ضمن تطوّر الشيوعية، ضد الليبرالية الديمقراطيّة [التي يتبناها مولر].

ونظر مولر إلى أن الشعبوية هي الأداة التي يُنتج فيها القادة و/ أو الأحزاب خطابًا دفاعيًا عن «الشعب»، إزاء «تهديدات» إرادته أو استقلاله، مثلًا من «النخب الفاسدة» و«المهاجرين» و «الأقليات»، وإضافة إلى ذلك، يسعى القادة و/ أو الأحزاب جاهدين لاستخدام الشعبوية من أجل التمثيل الصصري لد «الشعب» كقيمة عليا؛ أي أنه لا يمكن أن تكون هناك شعبوية في الخطاب والممارسة السياسية دون أن يتحدث شخص باسم الشعب ككل.

المقولة الأهم التي سترافقنا في هذه المقالة، هي إسارة مولر إلى أن الشعبوية تقدم للناس قيمًا أخلاقية سياسية، من خلال الربط بين السياسة والأخلاق، وتهدّد بذلك الأسس الديمقراطية الليبراليّة، خصوصًا من حيث مسألة «التمثيل»؛ فالشعبوية تفترض أن الناس موحدون ومتطابقون، وتنكر التعديّة بهذا المعنى، مما يجعل الممارسة والخطاب والقيم الشعبوية في توتر دائم مع خطاب المؤسسات الليبراليّة الديمقراطيّة.

على عكس مولر، يجد لاكلاو أن الشعبوية ليست بالضرورة ظاهرة مهددة للنظام الديمقراطي، وإنما هي أداة خطابية، بوصفها آلية غير معيارية، ويحلل إرنستو لاكلاو وشانتال موف الشعبوية كخطاب ومنطق سياسي في صراع نظام النخبة ضد الشعب. عرف لاكلاو الشعبوية كمنطق سياسي معاصر، فهي تقوم على الشعبوية كمنطق سياسي معاصر، فهي تقوم على النخبة المهيمنة، حيث أن التعريف مرتبط في الخطاب. أن مفهوم لاكلاو عن «الشعب» ليس حتميًا كما ينظر أن مفهوم لاكلاو عن «الشعب» ليس حتميًا كما ينظر الشعبوية تعبر عن منطق سياسيّ للمطالب المختلفة، إزاء النخبة المهيمنة، وعلى هذا الأساس تتحوّل الشعبويّة إلى النخبة المهيمنة، وعلى هذا الأساس تتحوّل الشعبويّة إلى أداة لتحدّي النظام. إن تشكّل «الهيمنة البديلة» ضروري أيضًا لتحقيق الشعبوية وفقًا للمنظرين لاكلاو وموف؛

وعلى المجموعة أن تتبنى خطابًا مشتركًا يكون مهيمنًا بينهم، وإن كان لكل فرد في المجموعة مطالب، فيجب على أعضاء المجموعة التخلّي عن مطالبهم الخاصة من أجل الحصول على طلب جماعي صغير كي تكون المجموعة متجانسة.

هنا، لا بـد من الإشارة أيضًا إلى قراءة دانى فيك (Dani Filk) للشعبويّة في تاريخ السياسة الاسرائيليّة، التي يبين فيها أنها ترتبط ب»حزب حيروت» (Hirut) الذي قاده رئيس الحكومة الإسرائيلي السابق مناحيم بيغن، الذي تحوّل إلى «حزب الليكود» إثر التحالف السياسيّ بين قطاعات لديها مطالب متعددة في إسرائيل. ووفقًا لفيليك، فقد استندت هيمنة الحزب السابق «مباي» إلى ما يسميه الكتلة التاريخية أو ما يسمى «أحوسليم» وهو تعبير يمثّل النخبة الأشكنازيّة الصهيونيّـة الاشــتراكيّة القوميّـة. يقــول فيلــك إنــه مــن أجل دمج المهاجرين الشرقين في المجتمع الإسرائيلي وإنشاء هيمنة بديلة لحركة «مباى»، بدأت بوادر حركة شعبويّة تمثّلت في حركة مثل «حزب الليكود»، ما يعنى أنها كانت بديلًا مضادًا لهيمنة الأخيرة، لإدماج مجموعات اجتماعية مختلفة. في هذا السياق، يرى تيّار لاكلاو وموف، أن الهيمنة البديلة شكّلت وعاءً لمصالح ومطالب مختلفة لقطاعات عديدة في المجتمع الإسرائيلي، وعلى هذا الأساس، استطاعت خلق هيمنة بديلة، وهذا مهم لفهم الجذور التاريخيّة للشعبويّة التي يقودها نتنياهو في الوقت الراهن. يجد فيك أنّ الخطاب الشعبويّ المرافق لصعود «حزب الليكود»، إلى رأس الهرم السياسي في إسرائيل، لم ينتج تغييرًا بنيويًا في تشكيلات المجتمع والاقتصاد والسياسة. أمّا مسألة الإدماج بالنسبة للقطاعات الاجتماعية المهاجرة اليهودية الشرقيّة فجاءت بشكل رمزيّ بالإضافة إلى تعميق الاضطهاد إزاء الفلسطينيين.٧

تتميّز الشعبويّة الراهنة عند نتنياهو بأمر إضافيّ؛ طمس الخطّ الفاصل بينَ حقيقة الواقع من جهة والسرأي من جهة أخرى. ولا أعني بذلك أن نتنياهو قد أحدثه، إلا أنه بارز بشكلٍ مكتّ ف وضروريّ للخطابِ والممارسة الشعبويّة عنده. تعتبر سياسة «ما بعد الحقيقة» مفهومًا جديدًا نسبيًا في الحقل السياسيّ، لكن الأكاذيب في السياسة كانت موجودة دائمًا وتعمل من أجل بقاء النظام. بحسب أرندت، فإن العلاقة القديمة بين الحقيقة والسياسة علاقة معقدة وسلبية

قام نتنياهو بإنتاج خطابٍ شعبويٌ في العقدِ الأخير، وبرزَ واشتدٌ خصوصًا في فترة انتشار جائحة كورونا، بوصفها أزمة عالمية على مستويات عدّة، إضافة إلى أن الخطاب الشعبوي رافقه استخدام سياسة «ما بعد الحقيقة» كما تحدّثنا عنها عند أرندت، عبر توظيف الجائحة في سبيل مصالحهِ الشخصيّة واستمرارهِ في السلطة.

فيها الحقيقة مستبدة على عكس السياسة بوصفها نشاطًا واهتمامًا في شوون المجتمع يحمل مرونة في الرأي والتفكير، لذا، فالأنظمة المستبدّة تجدها ندًا لها. وأيضًا الحقيقة بالنسبة إلى أرندت تخيف أو تتحدّى الأنظمة الديمقراطية بشكل مختلف.

هناك نوعان من الحقيقة؛ حقيقة الواقع، والحقيقة الفكرية؛ الأولى تُعنى بشوون الفرد في المجتمع وهي تتفيّر باستمرار وهي الحقيقة التي نتحدث عنها في مجال السياسة. أما الأخيرة فهي حقيقة العلم والرياضيات والفلسفة. يحاول معارضو المشكلة التي تكمن في النوع الأول وهي التي تعنينا في هذا المقال تحديها لأنها تفقد قوتها واستبدادها ليس فقط من خلال الأكاذيب الدائمة، بل أيضًا من خلال الآراء التي تضعف موقعها، كون القائد السياسيّ على سبيل المثال، لا يدّعي قول الحقيقة المطلقة ولا يجعل من الأكاذيب حقيقة، إنما رأيه، تسنده الحقوق الدستوريّة.^

شعبويَّة نتنياهو أثناء الجائحة: تمثيل الشعب

«ما هو قيد المحاكمة؛ المحاولة لإفشال إرادة الشعب والإطاحة بي، جهات قانونية انضمت إلى الصحافيين واليساريين للإطاحة برئيسِ وزراء قوي».

بنيامين نتنياهي، افتتاحيّة المحكمة في تاريخ ٢٤ أيار ٢٠٠.

كما عرضنا سابقًا، تتصاعد الشعبوية خلال الأزمات؛ وقد شكلت جائحة كورونا بدورها عند انتشارها كأزمة عالمية فرصة للشعبويين. على سبيل المثال، تبنى قادة مثل المجري فيكتور أوربان، والصربى ألكسندر فوتشيتش، وناريندرا مودى الهندى

خطاب الأزمة واستخدموه لتبريس إجسراءات الطوارئ وشددوا قبضتهم الاستبدادية على السلطة. بينما، قلّل قادة شعبويون آخرون من خطورة الجائحة مثل البرازيلي جايس بولسونيرو ودونالد ترامب، علمًا أن ترامب وآخرين لم يكن بإمكانهم الاستمرار في إنكار، أو التقليل، من شأن الأزمة العالمية بسبب مؤسسات الدولة والمجتمع المدنى الراسخة.

يرى روجرز بروبيكر أن القادة و/ أو الأحزاب الشعبويّة، لم يقفوا على حدٍ سواء إزاء جائدة كورونا؛ حيث أن المواقف والممارسات، نجدها في أحيان كثيرة متناقضة، على سبيل المثال؛ من المعتاد رؤية «قادة شعبويين» يختلقون أزمات، أو يقومون بتكثيف حدث معيّن وإعادة انتاجه في الخطاب والإعلام، على أنه «كارثة»، لكن ما يحدث في الوقت الراهن هو تقليل من شأن أزمة عالمية ومحاولة تصويرها على أنها «مؤامرة صينية» وما إلى ذلك، وعمليًا نجد قيادات شعبويّة أخرى تعمل على استخدام الأزمة والجائحة لمصالحها الشخصية وتثبيت سياستها وتوسيع صلاحيّاتها. مفارقة أخرى يشير إليها بروبيكر؛ استخدامات مفهوم الشعب عند الشعبويين مهمّـة ومركزيّـة، حيـث أن الخطاب يرتكـز على ادّعاءات «حماية الشعب اقتصاديًا واجتماعيًا وديمغرافيًا وثقافيًا وجسديًا من التهديدات الناشئة عن العولمة والاقتصاد النيوليبرالي والحدود المفتوحة والثقافة العالمية»، ضدّ النخب التي تباشر في هذه السياسات وتعزّزها. ويخلص إلى أن الشعبوية ليست أيديولوجية سياسية واضحة المعالم، إنما هي نسبية، باعتبارها «ظاهرة معارضة» بشكل دائم، ومحددة

بما تعارضه؛ المؤسسات الرسمية والنخبة، لكنها تتغير بشكل دراماتيكيّ في آلياتها، اعتمادًا على كيفية تنظيم المعارضة بين «الشعب» من جهة، و»النخبة» و»المؤسسة» من جهة أخرى. أ

يعتمد الخطاب الشعبويّ على إنتاج مفاهيم مثل «أننا» مُقابِل «هم» و/ أو «نحن» «مُقابِل «الآخر» و/ أو «الصديق» مُقابِل «العدو». وكما ذكرنا أعلاه وفقًا لمولر، فإن الشعبوية هي الأداة التي يُنتج من خلالها «القادة» أو «الأحزاب» خطابًا دفاعيًا بالنسبة لـ»الشعب»، تجاه من «يهدد» إرادة الشعب. قام نتنياهو بإنتاج خطاب شعبويّ في العقد الأخير، وبرز واشتد خصوصًا في فترة انتشار جائحة كورونا، بوصفها أزمة عالمية على مستويات عدّة، إضافة إلى أن الخطاب الشعبوي على مستويات عدة، إضافة إلى أن الخطاب الشعبوي عنها عند أرندت، عبر توظيف الجائحة في سبيل عنها عند أرندت، عبر توظيف الجائحة في السلطة.

اندلعت بعد الموجة الأولى من تفشّى الجائحة، وبالذات في حزيران ٢٠٢٠، في صفوف أوساط يهوديّة واسعة في إسرائيل احتجاجات ثابتة ومستمرّة بأعداد وصلت في بعض الأحيان إلى عشرات الآلاف، مُطالبين نتنياه و بالاستقالة على خلفية تُهم الفساد الموجّهة إليه، بالإضافة إلى سوء إدارة الأزمة الصحية، وما ترتّب على ذلك من أزمةِ اقتصاديّة حادّة عند قطاعاتِ عديدة في المجتمع الاسرائيليّ، وقد عارض المتظاهرون استمرار نتنياه و في الحكم استنادًا إلى ما سبق. في هذا الصدد، شكّلت فترة كورونا فرصة أمام نتنياهو للتحريض ضـد المتظاهرين، وخلق «عـدو» جديد للشعب، حيث وصف نتنياهو، ووزراء في حكومته، المتظاهرين بأنهم غير منضبطين وأناركيين (فوضويين) ويساريين راديكاليين وغير ذلك من الأوصاف التي تعزّز الفصل بينَ المتظاهرين من جهة و «الشعب» من جهة أخرى، وتحويل المتظاهرين ضمنيًا إلى أعداء ومصدر تهديد لــ «إرادة الشعب» المتمثّلة في استمراره بالحكم. بالتالي، قام نتنياهو بتفعيل «قانون الطوارئ»، وفرض إغلاقًا على الدولة بأكملها، على عكس توصيات المفوّض لمكافحة كورونا، بروفسور رونى جمزو، والخطة التى اقترحها المعروفة بـ «إشارة المرور»؛ ولتى تقتضى بإغلاق المدن الحمراء التي يرتفع فيها مؤشر الإصابات بالمرض. لم يقبل نتنياهو بذلك بسبب اندراج المدن «الحريديّة» تحت الضوء الأحمر الذي يقتضي إغلاقها، بسب

تحالف السياسيّ مع الأحزاب «الحريديّة» التي لن يستطيع بدونها الاستمرار في السلطة. ``

في خطاب لنتنياهو قال متوجهًا إلى المتظاهرين: «لا تجرّوا البلاد إلى الفوضى، إلى العنف، إلى التخريب، إلى انتشار الأمراض». سعى نتنياهو من خلال هذا الخطاب وخطابات أخرى مشابهة، إلى ترسيم شخصيّات المتظاهرين وممارستهم، وحدود مضمون فعلهم، ممّا للتظاهرين وممارستهم، وفقًا لهذا الترسيم والتحديد، لا يجعل مظاهراتهم، وفقًا لهذا الترسيم والتحديد، لا تحملُ مضمونًا غير الفوضى والعبثيّة والمساهمة في نشر الأمراض. من المهمّ الإشارة أيضًا إلى أن هذه الكلمات قد ألقيت على مسامع الجمهور عندما كان هذا يتابع خطاباته وتصريحاته للحصول على المعلومات والتطورات بالنسبة لانتشار الجائحة، الأمر الذي استغله والتعليم حيدًا لوضع المتظاهرين في موقع ضدّ «مصالح الشعب»، كونهم «ينشرون الأمراض».

أصبحت سياسة «ما بعد الحقيقة» التي يستخدمها نتنياهو، جزءًا من نسق دوليّ متنام ومتجذّر؛ حيث يعمل المتحدّث على ثني وطيّ الواقع وفقًا لما يناسب آراءه وأهدافه ومصالحه، مما يجعل حديثه وخطابه، رأيًا، وبالتالي يخلق لنفسه واقعًا على هامش الحقيقة وعمليّة تشريعها، إثر اعتمادها على بعض الوقائع المتفرّقة التي تشكّل معًا رأيًا إزاء الحقيقة. علمًا أنه لا يُنكر الحقائق في خطابه، بل يُعيد صياغتها وترتيبها لا يُنكر الحقائق في خطابه، بل يُعيد صياغتها وترتيبها وضحت أرندت، ويقدّم الحقائق في سياق سياسيّ حيث أوضحت أرندت، ويقدّم الحقائق في سيلة سياسيّ حيث يفضّل حقيقة على أخرى. على سبيل المثال، لا يوجد دليل علميّ يُثبت أن المتظاهرين في الخارج، تسبّبوا في زيادة معدّلات الإصابة بالأمراض، لكن الجائحة وسرعة انتشارها وفّرت بنية تحتية خصبة لنشر الأكاذيب

في خطاب نتنياهو في ١٣ أيلول ٢٠٢٠، خلال الموجة الثانية لانتشار الجائدة، قام بفصل واضح بينَ «نحن- الشعب» و «الآخر- الخائن والمجنون»، في إشارة إلى المعارضة المتزايدة والمظاهرات في الشوارع وخصوصًا في القدس، واتهم المتظاهرين المنتشرين في العديد من المدن في إسرائيل بنشر الوباء، حيث أنهم السبب الرئيس في دخول البلاد لموجة ثانية. ولفت الكاتب، نحميا شتريسلر في صحيفة «هآرتس»، أن نتنياهو دفع قيادة الجبهة الداخلية لزيادة عدد الفحوصات والتشديد على ارتداء الأقنعة، لكنه استسلم أمام الحريديم في الوقت

نفسه، حيثُ توجّب عليه وفق خطّة المفوض لمكافحة كورونا، فرض إغلاق على المدن الحمراء فقط، لكن نتنياهو رفض ذلك عمليًا، الأمر الذي يوضح رغبته في خلط الأحداث بعضها ببعض وانتقاء بعض الحقائق وتكوين رأي مُغاير للحقيقة واتهام المعارضة، بدلًا من إغلاق المدن الحمراء [المدن الحريديّة في غالبيّتها]. أدى ذلك إلى أن تصبح إسرائيل الدولة الأولى في العالم التي تدخل في إغلاق ثان، أي فرض عقاب جماعيّ من أجل الحفاظ على التوازن السياسي في الحكومة، وصعوبة التعامل مع الانقسامات السياسية بالنسبة لرئيس حكومة متهم في ثلاثة ملفّات فساد. ناهيك، عمّا آلت إليه الأمور بسبب الإغلاق الثاني؛ أزمة اقتصادية وتعليمية كبيرة في حينها. "ا

ما بعد الحقيقة أثناء الجائحة: عن إدارة الأزمة

أحد التناقضات التي تحدّث عنها الباحث بروبيكر، هي أن الشعبوية خلال الجائحة، والأزمة العالمية التي نتجت عنها، وضعت الحركات والأحزاب والقيادات أمام واقع مُعاكس؛ حيثُ أن دورها في ظلّ أزمة حقيقية هو إنكارها والتقليل من آثارها، وذلك يعود لعدم قدرتهم على التعاطي مع الحقائق، وتحويل الجائحة إلى فرصة أخرى لتفرقة الشعب. لكن، في الوقت نفسه، سعت المسعوية في حالات أخرى وفقًا للمصالح السياسية للكلّ حالة شعبوية إلى استخدام الأزمة لجعلها أداة ورأس مال سياسيًا لدفع شرعية الرؤساء الشعبويين وتشبيتها، وخصوصًا من خلال «إعلان حالة الطوارئ»، وتشبيتها، وخصوصًا من خلال «إعلان حالة الطوارئ»،

برزت الشعبويّة في إسرائيل من خلال ملامح تعكس حالة عدائيّة ضدّ المؤسسات، فمع انتشار جائحة الكورونا التي بدأت في إسرائيل بشكل رئيس في آذار من العام الماضي، تم اللجوء إلى إغلق معظم مجالات الحياة: الاقتصاد والتعليم والثقافة إلخ... ودفعت الحكومة نحو سنّ قانون الطوارئ الذي يعطيها قوّة سياسيّة أكبر. في هذا الصدد، تمكّن نتنياهو من كسب سلطة كبيرة في هذا الصدد، تمكّن نتنياهو من كسب سلطة كبيرة للغاية، لإغلاق النظام القضائي، ومراقبة لجنة تعيين القضاة وسنّ «القانون الفرنسي» [الذي قد يعفيه من المحاكمة أثناء فترة رئاسته، في حال سنّت الكنيست القانون، بأشر رجعيً]، جدير بالذكر أن حجم الحكومة التي تشكّلت على إشر الجائحة تضمّنت ٢٤ وزيرًا، وهي الحير حكومة بدون ميزانية للولة ووسط أزمة اقتصادية.

قام نتنياهو في هذه الفترة بتحويل «تقييدات كورونا الطارئة» لفرصة سياسية، حيث أن أحاديث وخطاباته المتكررة حول منجزات الحكومة في مكافحة الجائحة، اعتمدت على تصنيف خطابيً؛ «أنا»، مقابل «هُم». بمعنى آخر، نجحت سياسة «الحجر الصحي والإغلاقات» حيث أنها خدمت مصالح نتنياهو، وفي الوقت نفسه تحدّث عن انخفاض عدد المصابين. على إثر ذلك، قام بتصوير نفسه على أنه «مُنقذ الأمة» ومشددًا على «أنا»، على افتراض أنّ التعامل مع مثل هذا المرض لا يحتاج إلى خبراء [وسأتطرّق إلى هذا الموضوع لاحقًا].

شكّلت الإغلاقات المتكررة بنية تحتية قوية لإغلاق، أو على الأقل، لتأجيل جلسات محاكمة نتنياهو في قضايا وملفّات الفساد، وقادت إلى تجميد الخطوة وفتحت الباب أمام العديد من الأحداث السياسية. تميّزت الشعبويّة في حزب الليكود، في فترة الكورونا، بأنها تجد صراعها مع المؤسسات وخاصة مع القضائيّة، هي قضيّة متعلّقة «في التعبير الصادق عن الآراء السياسيّة والقيميّة للشعب». وقد أشار مناحيم ماوتنِر إلى أن الدولة أصبحت تتميّز مع صعود اليمين في السبعينيّات بد «تراجع المؤسساتيّة الرسميّة، وصعود القيم في القانون الإسرائيلي»، حيث أن انتقال النظام القضائي من التقاليد المؤسساتيّة إلى التقليد المعياريّ القيميّ، أحدث توتّرات مع الهيئة المتشريعية،

وما زال التوتّر ضد النظام القضائعيّ قائمًا، خصوصًا في فترة انتشار الجائحة، حيثُ أن بنيامين نتنياهو يمثل للمحاكمة على ثلاث لوائح اتهام، ومن المقرر أن تبدأ محاكمة نتنياهو في ١٧ آذار، وفقًا لقرار المحكمة، لكن حينما تداخلت التقييدات في الاقتصاد مع إعلان وزير القضاء أمير أوحانا، لحالة الطوارئ في المحاكم، دفع ذلك فريق القضاة، برئاسـة القاضيـة ريبيـكا فريدمـان فيلدمـان، إلى تأجيل افتتاح المحاكمة. أضف إلى ذلك، الصراع البارز مع المدعى العامّ أفيضاي مندلبليت، وقد حاول نتنياهـ و بدوره إظهاره على أنه يقوم بتضليل الـرأى العـام في موضـوع كورونـا، الأكثـر أهميّـة. بـدأ الصراع مع القضاء في ثمانينيات القرن الماضي وهو مستمر حتى اليوم، لكن أشهر الكورونا، شهدت العديد من الأحداث التي سمحت لنتنياه و بتأجيل محاكمت وعقوبت أكثر فأكثر، منها إعلان حالة في بداية الموجة الأولى، ذكرَ نتنياهو أن الوفيّات قد تصل إلى «عشرات الآلاف»، إلا أننا نلاحظ أن الأرقام وصلت في إسرائيل حتى تاريخ ٢١ تشرين الثاني ٢٠٢٠، إلى ٢٧٥٤ شخصًا، معظمهم من كبار السن أو المصابين بأمراض مزمنة مُسبقة، ونجد أن تكتيك التخويف يخدم؛ أولاً الوضع القانوني والسياسي لنتنياهو، وطبيعة ممارسته السياسية؛أى الشعبوية وطمس الحقائق وخلطها ثانيًا.

الطوارئ في قطاع القضاء بدعوى أن ذلك يمنع انتشار الوباء.

لفتت الباحثتان عنات جيسير ادلسبيرج ورنا حجازي Gesser-Edelsburg, & Hijazi, في مقالهما «عندما تلتقي السياسة بالوباء: كيف قام رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو وفريق صغير بإيصال معلومات حول الصحة والمخاطر للجمهور الإسرائيلي خلال المراحل الأولى لجائحة كورونا»، إلى أن الهدف من تبنّي نتنياهو لتكتيك التخويف من خلال المبالغة في تقدير أعداد الموجة الأولى من انتشار الجائحة، كان تشكيل الرأي العام على أساس نتائج متوقعة قد لا تصل بالضرورة إلى مثل هذه الأعداد. في بداية الموجة الأولى، ذكرَ نتنياهو أن الوفيّات قد تصل إلى «عشرات الآلاف»، إلا أننا نلاحظ أن الأرقام وصلت في إسرائيل حتى تاريخ ٢١ تشرين الثاني ٢٠٢٠، إلى ٢٧٥٤ شخصًا، معظمهم من كبار السن أو المصابين بأمراض مزمنة مُسبقة، ونجد أن تكتيك التخويف يخدم؛ أولاً الوضع القانوني والسياسي لنتنياه و وطبيعة ممارسته السياسية؛ أي الشعبوية وطمس الحقائق وخلطها ثانيًا.

لدى نتنياهو مزيد من الاستراتيجيّات - كما يظهر البحث المذكور أعلاه - التي حاول من خلالها إبراز شخصه كعامل أساس في «هزيمة الوباء»، ويكشف البحث عن الإفراط في استخدام كلمة «أنا» (٦٦٧ مرة) في خطابات نتنياهو، بالإضافة إلى تكرار عبارة أن دولة إسرائيل هي الأكثر نجاحًا في العالم، وقد نتج عن ذلك التقليل باستمرار من أهمية الخبراء والمؤسسات كجزء من خطابات نتنياهو الشعبوية. من المهم الإشارة إلى أنه أثناء وصول اللقاحات المُضادة للفيروس

من شركة «فايزر» الأميركيّة، تحدّث نتنياهو وكرّر، «أنا جلبتُ لكم اللقاحات» في العديد من المقابلات التلفزيونيّة، وهذا التشديد يعني أنه هو شخصيًا، أنقذَ الدولة، بشكلٍ غير مسبوق، مقارنة مع جميع الدول الأوروبيّة، منذ بلادمة حتى وصول اللقاحات.

أدى ذلك إلى ظهور الاستراتيجية الثالثة؛ «إنشاء علاقة بين القضايا الصحية والسياسية من خلال الدعوات السياسية لحكومة وحدة وطنية في المؤتمرات الصحافية التي تخصّ جائحة كورونا». على هذا الأساس، بالإضافة إلى تكتيك «التخويف»، تحوّل مطلب «حكومة وحدة وطنية» إلى حاجة ملحّة.

شكّلت عمليّة بناء «رواية الطوارئ» أولويّة بالنسبة لإدارة نتنياهو، فعلى سبيل المثال عقد خلال الأزمة مؤتمرات صحافية في ساعات المشاهدة الإعلامية الأكثر اقبالًا (Prime Time) بشكلٍ شبه يومي للإعلان عن المزيد من الإرشادات والقيود والإغلاقات. وشارك اثنان من كبار مسؤولي وزارة الصحة - موشيه بار سيمان توف، والبروفسور سيغال تساديتسكي - في هذه المؤتمرات. أسهمت عملية إنشاء «رواية الطوارئ» في مساعدة نتنياهو في تحقيق مصالحه الشخصية وإهمال لوائح الاتهام، وإبراز دوره في إنقاذ الشعب. "

خاتمة

الشعبويّة، كما أوضحنا في البداية، تزدهر في خضمً أزمة. وفقًا لمعطيات انتشار الجائحة في الدول التي تقودها نُخب شعبوية، أدت السياسات غير المهنيّة في التعاطى مع أزمة كورونا، إلى تفاقم أزمات سياسية

واقتصادية واجتماعية. أما في إسرائيل فقد تداخلت أزمة كورونا مع أزمة سياسية عميقة؛ نتنياهو رئيس الحكومة مع ثلاث لوائح اتهام بقضايا فساد وخيانة الأمانة وتلقي الرشى، وانتخاباتٍ متكرّرة متعلّقة تدور حول نتنياهو. دفع الوباء بالتالي إلى اتساع نطاق الأزمات وتعميق التصدّعات الموجودة داخل المجتمع الاسرائيلي، بالإضافة إلى أزمةٍ صحيّة واجتماعية واقتصادية خلال الجائحة.

حاولنا في هذا النصّ، أولًا؛ الكشف عن خطاب نتنياهو الشعبويّ وسياسات «ما بعد الحقيقة» على مستويات عدة، حيث تم استخدام قيود كورونا لتأجيل المحكمة، والاستمرار في التحريض ضد مؤسسات الدولة والقضاء والإعلام والشرطة والمدّعي العام، واتهامهم بعدم المهنية في التعاطي مع انتشار الجائحة واهتمامهم فقط بد «السياسة». علمًا أن مناهضة المؤسسات بدأت منذ ثمانينيات القرن الماضي مع صعود الليكود إلى مؤسسات الدولة، لكن أزمة كورونا عمقت العداء ضد النظام ومؤسسات الدولة، إلا أن الإدارة السياسية لنتنياهو اعتمدت قدر الإمكان على الخلط بين الحقائق والآراء للمؤسسات واليسار والمتظاهرين، لخلق «أعداء الشعب» للمؤسسات واليسار والمتظاهرين، لخلق «أعداء الشعب»

ثانيًا؛ قمنا بتحديد سمات خطاب نتنياهو أثناء انتشار جائحة كورونا: التأرجح بين خطاب الترهيب والتخويف، وخطر الكورونا المُحدق الذي يهدّد بانهيار الدولة، وخلق نظام طوارئ، بإرشادات غامضة وغير شفافة، وفرض الإغلاق على الدولة كعقاب جماعي دون الرجوع إلى توصيات الخبراء، لأسباب متعلقة بمصالح سياسيّة وتضمن استمرار حُكمه، في الإغلاق الجزئي، ثمّ تحوّل «خطاب التخويف» إلى «خطاب الإنجازات» المتعلّق بشخصه، مشددًا على أنه [نتنياهو] قام بإنقاذ الدولة من الانهيار بحكمته وقدراته الإداريّة وعلاقاته الدوليّة، قد جاءت ضمن سياسات «ما بعد الحقيقة» وعدم الاعتماد على حقائق واضحة، وخطاب شعبويّ.

ثالثًا؛ من المهمّ ربط هذه الفترة التي قرأناها خلال النصّ مع الأحداث التي جبرت لاحقًا، وعلى رأسها إعلان الانتخابات الرابعة (٢٠٢١)، ونستطيع أن ننظر لفشل حكومة الوحدة الوطنيّة (نتنياهو غانتس) كنتيجة لسياسات شعبويّة، وعدم الشفافيّة

أمام الحكومة التي شكلها أولًا، وأيضًا أمام الجمهور الاسرائيليّ عمومًا. استطاع نتنياهو في استخدامه الخطاب الشعبوي وسياسة «ما بعد الحقيقة»، تحقيق هدفين؛ أولهما الحفاظ على قاعدة جماهيريّة متماسكة تصل إلى ثلاثين مقعدًا انتخابيًا، عبر التمسّك بخطاب شعبويّ، بالتالي أصبح الخلاف في السياسة الإسرائيليّة يرتكز على «حكومة مع نتنياهو» أو «حكومة بدون نتنياهو» أو «حكومة بدون نتنياهو» أن «حكومة في تقسيمات «اليمين واليسار»، حيث أننا نفقد إمكانيّة قراءة تشكّل حكومة، وقراءة الخارطة السياسيّة الإسرائيليّة، مع التشديد على أن خروج السياسية الإسرائيليّة، مع التشديد على أن خروج اليمين واليسار».

أما الهدف الثاني فيتمثّل في أن نتنياهو قد جعل من إدارة أزمة كورونا، حكرًا على ذاته، وعدم الشفافيّة مع رئيس الحكومة البديل، غانتس، بالتالي قامَ بإضعافه، وجعل نفسه الوحيد القادر على تشكيل حكومة، نظريًا، حيثُ أنّ الفارق كبير يصل إلى عشرة مقاعد بينَ حزب الليكود، والحزب الثاني «يوجد مستقبل»، في جميع نتائج الاستطلاعات. إلا أنّ تحقيق الهدفين مرتبطان في فشله أيضًا بتشكيل حكومة كما رأينا بعد الانتخابات الرابعة، ونستطيع إحالة ذلك إلى الخطاب الشعبويّ، وطبيعته في خلق خانة لد «أعداء الشعب»، التي تعبّر عن اليسار في هذه الحالة، شمّ الاستمرار في خلق خانات كهذه تعمّق الصدوع، مثل «المتعاونين معهم»؛ أي كلّ من الحزبين «أمل جديد» بقيادة جدعون ساعر، وحزب «إسرائيل بيتنا» بقيادة أفيغدور ليبرمان.

يمكن رؤية فترة كورونا في إسرائيل كنموذج واضح لإدارة نتنياه و للأزمات وللصراعات. كما ذكرت أن الشعبوية لم تنشأ في فترة الجائحة إنما ازدهرت خلالها أكثر، فيمكن رؤية سمات هذا الخطاب في أزمات وصراعات أخرى يديرها نتنياه و كإدارة الصراع مع الفلسطينيين وإدارة الصراع مع الجهاز القضائي ومؤسسات الدولة المختلفة. أما سياسة ما بعد الحقيقة فتتجلى أكثر مع خطاب نتنياه و الشعبوي في السنوات الأخيرة مع ازدياد الصراعات السياسية والتصدعات السياسية في الحكومة الإسرائيلية ومع صراع البقاء الذي يعيشه نتنياه و الذي ألف كرسي الحكم على مدار ١٢ عامًا متواصلة.

الهوامش

- دنـ ه، آرنـدت، «الحقیقـة والسیاسـة»، مجلّـة یتفکّـرون، العـدد ٦،
 (٢٠١٥)، ص ١٥ [تُرجمـت عـن الفرنسـيّة ١٩٧٢]
 - ۲ حنة، آرندت، (۲۰۱۵).
- 3 Lee McIntyre, «Post-Truth», European Journal of Communication, 33, no. 5 (October 2018): Pp. 574–75. https://journals.sagepub.com/doi/10.1177/0267323118799184
- 4 J. W. Müller, What is populism? (UK: Penguin, 2016), p19
- 5 Müller, p 19,
- 6 E. Laclau, On populist reason. (London, NY: Verso. 2005); E. Laclau & C. Mouffe, Hegemony and socialist strategy: Towards a radical democratic politics. (London: Verso. 2014)
 - ٧ داني فيلك، الهيمنة والشعبوية في إسرائيل، (تـل أبيـب: ريسـلينج، ٢٠٠٦)، ص. ٩٤ [النـصّ باللغـة العبريّـة]
 ٨ حنة، آرندت، (٢٠١٥)، ص ١٥.
- 9 Rogers Brubaker, «Paradoxes of Populism during the Pandemic». Thesis Eleven, November 3, 2020. https:// journals.sagepub.com/doi/full/10.1177/0725513620970804
 - ۱۰ عميت، سالونيم، «حالما اتهم نتنياهمو المتظاهريمن ضده بنشر الوباء، اضطر جمرو إلى الاستقالة»، موقع «والا»، ۲۶ تموز / https://e.walla.co.il . [النصّ باللغة العبريّة]. /item/3375784#!/wallahistory

11 McIntyre, (October 2018): Pp 574–75.

۱۲ نحميا، شترسلر. «صُنفت م باللـون الأحمـر، مصيركـم الفشـل».
صحيفـة هآر تـس، ۲۰ أبلـهل ۲۰۲۰. [النـصّ باللغـة العبرــة].

https://www.haaretz.co.il/opinions/.premium-1.9184301

- ۱۳ بارسكي، «عــودة القانــون الفرنـــّسي: يمينــا قــدّم اقــــّراح قانــون يمنـــع التحقيـــق مــع رئيـــس الحكومــــــة»، موقـــع معاريـــف، https://www.maariv. .[نــــص باللغـــة العبريّـــة]. co.il/news/politics/Article-767575
- وكذلك، ليل مرغليت، «صلاحيات طوارئ ورقابة قضائية خلال أزمة الكورونا: مسح مقارن»، موقع المعهد الإسرائيلي للديمقر اطبة، ٧/٥٠/٠٠.

https://www.idi.org.il/articles/31524

- ١٤ مناحيم ماوتنير. تراجع الشكلانية المؤسساتية مقابل صعود القيم في القانون الإسرائياي. ١٩٩٣. نُشر بواسطة «دوائر السرأي». [النص باللغة العبرية]
- 15 A. Gesser-Edelsburg & R. Hijazi, «When Politics Meets Pandemic: How Prime Minister Netanyahu and a Small Team Communicated Health and Risk Information to the Israeli Public During the Early Stages of COVID-19». Risk Management and Healthcare Policy, 13, 2985, (2020).
- 16 Gesser-Edelsburg & Hijazi, (2020).